اَلدَّرْسِ اَلْشَّفَهِيِّ لِتَفْسِيْرِ اَلْقُرْآنِ اَلْعَظِيْمِ عند عُلَمَاء اَلْجَزَائِرِ
-نماذج وخصائص-

THE ORAL LESSON FOR INTERPRETATION OF THE GREAT QUR'AN BY ALGERIAN SCHOLARS MODELS AND FEATURES

Dr. Mounir ZIBANI
University of ALGEIRS 1
الدكتور:منير زيباني
جامعة الجزائر 1
mzzibani@gmail.com

استلم:	**2019/10/03**	***Received:***	
قُبل للنشر:	**2020/01/21**	***Accepted:***	

ملخص:

لما كانت اَلْدَّرْسِ اَلْشَّفَهِيِّ لِتَفْسِيْرِ اَلْقُرْآنِ اَلْعَظِيْمِ عند عُلَمَاء اَلْجَزَائِرِ جزء من تُراثنا الذي هو هويّتنا وأصالتِنا وذاكرة ونافذة نطلُّ مِن خِلالها على ماضينا، وخِزانةً اجتمَعت فيها مكوِّنات هذِه الأُمَّة، صارَت العِنايةُ به عِندَ العقلاء مِن أولوياتِ انشِغالاتهم، وفي مُقدِّمةِ اهتماماتهم، ذلك لأنَّ سِنَّ الرُّشدِ عِندَ الأُممِ المتمدِّنة إنَّما يقاسُ بِمَدى العِناية التي تُوليها كلّ أُمَّة بِتاريخها وتُراثها، وما تُنفِقُه مِن حرِّ أوقاتِها في سَبيلِه، وإنَّ دَرجةَ الاِهتمامِ بهذا الجانبِ ينمُّ عَن مَنزلةِ الوَعيِ الذي تَبلغُه، فَباتَ مِن المقرّرِ أنَّ مَن تَنكَّر لماضِيه وطوَى أَمجادَ ما صنَعتهُ الأَجداد، وتَخلَّى عَن الحصانةِ التي تَربطُه بِهَويّته، فقَد ساهمَ بِحظٍّ وافرٍ في رَسمِ مسارِ ضَياعِه، وانصِهارِه ودَوبانِه في غَيره.

الكلمات المفتاحية: الدرس؛ الشفهي؛ تفسير؛ القرآن؛ علماء؛ الجزائر.

Abstract :

Since Algeria scientists efforts in the oral lesson to interpret the Koran great part of our heritage which is our identity and Osaltnawmakrh and a window into which on our past, and the closet where I met the components of this nation, its care has become wise people of the priorities of their concerns, and in the introduction to their concerns, because the age of majority at Civilized nations are measured by how much care each nation attaches to its history and heritage. And spend from free due time for that, though the degree of attention to this aspect reflects the status of consciousness attained by each nation, to shreds due to both deny the past and rolled up the glories of what she created grandparents, and gave up immunity with which his identity, he has contributed to luck galore draw The path of its loss, melting and melting in others.

Keywords : *the lesson; Oral; Explanation; The Quran; Scholars; Algeria.*

مقدمة:

لما كانت جُهُوْد عُلَمَاء اَلْجَزَائِرِ فِيْ اَلْدَّرْسِ اَلْشَّفَهِيِّ لِتَفْسِيْرِ اَلْقُرْآنِ اَلْعَظِيْمِ جزء من التُّراث الذي هو من هويّتنا وأصالتِنا، وذاكرة ونافذة نطلُّ مِن خِلالها على ماضينا، وخِزانةً اجتمَعت فيها كلُّ مكوِّنات هذِه الأُمَّة مِن قيَمٍ حَضارية، وأنماطٍ فِكرية، صارَت العِنايةُ به عِندَ العقلاءِ الذين يَهتمُّون بِالتفسير وعلومه من ناحية، ومن أخرى الذين اهتموا بإبراز جهود علماء الجزائر العلميَّة؛ مِن أولوياتِ انشِغالاتهم، وفي مُقدِّمةِ اهتماماتهم، ذلك لأنَّ سِنَّ الرُّشدِ عِندَ الأُممِ المتمدِّنة إنَّما يقاسُ بِمَدى العِناية التي تُوليها كُلّ أُمَّة بِتاريخِها وتُراثها، وما تُنفِقُه مِن حرِّ أوقاتِها في سَبيلِ ذلك، وإنَّ دَرجةَ الاِهتمامِ بهذا الجانبِ ينمُّ عَن مَنزلةِ الوَعيِ الذي تَبلغُه كُلُّ أمَّة، فَباتَ مِن المقرّرِ أنَّ كُلَّ مَن تَنكَّر لماضِيه وطوَى أَمجادَ ما صنَعتهُ الأَجداد، وتَخلَّى عَن الحصانةِ التي تَربطُه بِهَويّته، فقَد سَاهمَ بِحظٍّ وافرٍ في رَسمِ مسارِ ضَياعِه، وانصِهاره وذَوبانِه في غَيره.

ثُمَّ فإنَّ بيان هذه الجهود لعلمائنا هي جزء من علم المغاربة، الذين لهم من العلم والجهود ما ليست لغيرهم، قال الشيخ بكر أبو زيد: «المغاربة لهم أنظار ومداركٌ في العلم ليست عندنا نحن المشارقة.» (1)

أهداف الموضوع: والمأمول من هذا البحث أن يحقق المقاصد الآتية:

المقصد الأوّل: التعريف بجهود علماء الجزائر في هذا الجانب المهم من التفاسير، إذ ربما أمكن استخراج مادته العلمية ممن نقل عنهم من المفسرين الذين اهتموا بالتأليف في التفسير.

المقصد الثّاني: إبراز شأن علماء الجزائر الذين كان لهم الأثر البارز في التأسيس لعلم التفسير في منطقة المغرب العربي.

المقصد الثالث: بيان خصائص هذه الدروس التفسيرية الشفوية، ووجه الاستفادة منها.

المقصد الرابع: بيان وظائف هذه الدروس التفسيرية الشفوية، وقيمتها العلمية والتربوية.

---

(1) عبد الله الهدلق «ميراث الصمت»، ص50.

المقصد الخامس: بيان الآثار الإيجابية والسلبية التي نتجت عن هذه الدروس التفسيرية الشفوية دون تدوينها.

المقصد السادس: الدعوة إلى الاحتفاء بمنهج هؤلاء الأعلام للاستفادة منها، لأنها بلغت الغاية في الثراء العلمي.

المقصد السابع: أنّ هذه الدروس التفسيرية الشفوية كانت لظروف علمية واجتماعية وتاريخية اقتضت ذلك.

أسباب اختيار الموضوع: مِنْ أَسْبَابِ اخْتِيَارِي لِهَذَا اَلْمَوْضُوعِ أَنِّنِي وَقَفْتُ وَأَنَا أَقْرَأُ كِتَابَ «تَارِيخِ اَلْجَزَائِرِ اَلْثَّقَافِيْ» لِلْدُّكْتُورِ أَبُوْ اَلْقَاسِمِ سَعْد الله فِيْ كَلاَمِهِ عَلَى مَجَالِسِ بَعْضِ عُلَمَاءِ اَلْجَزَائِرِ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ، فَأَحْبَبْتُ خَوْضَ غِمَارِ اَلْبَحْثِ فِيهِ.

لذا كانت الإشكالية:

إلى أي مدى اعتنى علماؤنا بهذا الجانب من أنواع تفسير القرآن الكريم؟

وكيف يمكن الإفادة منها؟

وما غرضهم منها؟

وما هي صورة مجالس الدروس التفسيرية الشفوية؟

ومن هم أبرز علماء الجزائر الذين انتهجوا هذا المنهج؟

وما هي مناهجهم فيها؟

وما حاجتنا اليوم إليها؟

وما هي المراحل التي مرّ بها الدرس التفّسيري في بلاد الجزائر ؟

ومن هو أوّل مَنْ فَسَرَ الْقُرْآنَ الكريم من علماء الجزائر شفويا؟

وما هي أسباب تأخر ظهور التفسير تدريسا ببلاد الجزائر والمغرب عموما؟

ثُمَّ ما هي نتائج هذه الدروس الشفوية على الفرد والمجتمع الجزائري؟

ولماذا لم تصل أكثر هذه التفاسير إلينا؟

وهل يمكن حصر بعض خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم عند علماء الجزائر؟

وما امتازت به طريقتهم في التدريس التفسيري؟

المنهج المتبع فيه: لم أعتمد منهجا واحدا في هذه الدراسة؛ لأن طبيعتها استلزمت في بعض المباحث أن أعتمد المنهج الاستقرائي بصورة أكبر، وفي أخرى أن أعتمد المنهج التحليلي.

تلاه المنهج التحليلي الوصفي: حيث يقوم على وصف مادة بعض التفاسير عند علمائنا.

ثم المنهج التاريخي إذ هذه الدراسة عبارة عن غوص في فترات تاريخية متنوعة، على رقعة ترابية واحدة وهي الجزائر مع الإشارة إلى بعض علماء الجزائر الذين فسروا القرآن خارج الجزائر.

منهجية البحث: حيث اتبعت المنهجية العلمية في كتابة البحوث.

خطة البحث: حيث اشتملت على مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أمَّا المقدمة: ضمّنتها بيانا لعناصرها، ثمَ أتناول في المبحث الأوّل: نشأة التفسير في الجزائر. وهو في ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: تصوير لهيبة مجالس الدروس التفسيرية الشفوية.

المطلب الثَّاني: نشأة الدرس التفّسيري في بلاد الجزائر.

المطلب الثَّالث: أسباب تأخر ظهور التفسير تدريسا ببلاد الجزائر والمغرب عموما.

وأبرز في المبحث الثاني: نماذج من علمائنا الذين فسروا القرآن شفويا. وهو في ثلاثة مطالب:

النموذج الأوّل: الإمام ابن باديس الجزائري.

النموذج الثَّاني: الإمام البشير الإبراهيمي الجزائري.

ومن المبحثين السّابقين استخلصت المبحث الثالث الذي هو في: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن عند علماء الجزائر. وهو في ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: نتائج هذه الدروس الشفوية على الفرد والمجتمع الجزائري.

المطلب الثَّاني: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم عند علماء الجزائر.

المطلب الثَّالث: أسباب عدم وصول اكثر هذه التفاسير إلينا.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها الخلاصة مع أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأوّل: نشأة التفّسير في بلاد الجزائر وأسباب تأخر ظهوره:

المطلب الأوّل: تصوير لهيبة مجالس الدّروس التفسيرية الشفوية:

يقال إنّ التّأليف في العلوم ليس كالتدريس وهذا ما جعل للتدريس والجلوس له هيبة في نفوس طلبة العلم، فكان يجلس الشّيخ على كرسيه الخشبي المرتفع عن الطلبة؛ وفي ذلك حكم بالغة من الفوائد التّعليميَّة وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، فيمكن للشّيخ أن يراقب سلوكيات جميع الطالبة، وَلَفِّ انْتِبَاههمْ، وَفِيْ اَلْمُقَابِلِ اَلْطَّلَبَةُ يُمْكِنُهُمْ اَلْنَّظَرُ إِلَى اَلْشَّيْخِ كَدَلاَلَةٍ رَمْزِيَّةٍ، وَكَانَ اَلْطَّلَبَةُ يَجْلِسُوْنَ مُتَحَلِّقِيْنَ حَوْلَ **شَيْخِهِمْ** اَلَّذِيْ هُوَ رَمْزُ **اَلْهَيْبَةِ وَاَلْإِحْتِرَامِ**، مُتَرَبِعِيْنَ فِيْ جَلْسَتِهِمْ، عَلَى اَلْحَصِيرِ، وَكَانَتْ هَذِهِ اَلْحَلَقَاتُ تَبْدَأُ بِأَمْرِ اَلْشَّيْخِ أَحَدَ طَلَبَتِهِ بِقِرَاءَةِ اَلْنَص اَلْمُرَاد، وَكَانَ يُسَمَّى اَلْطَالِبُ اَلَّذِيْ يَقْرَأُ اَلْنَّصَّ **بِاَلْدُوَانِ**، وَهُوَ خَاصٌّ بِاَلْشَّيْخِ إِمّا فِيْ دَرْسٍ بِعَيْنِهِ أَوْ فِيْ جَمِيعِ دُرُوْسِهِ، هذه هي الطّريقة التّقليدية التي كانت تدفع الطلبة إلى التّشوق إلى الدّرس التفسيري، لما فيها من فوائد كثيرة، ومكاسب علمية وسلوكيّة نحن في أشدّ الحاجة اليوم إليها.

ومما لفت انتباهي مقالا للشيخ الجيلالي الفاسي في جريدة البصائر[1] حيث تحدث بإسهاب عن رسالة المعلم في التلقين والتهذيب والتوجيه والتربية السلوكية والأخلاقية والإيمانية، حيث بيَّن المكانة الرفيعة للمعلم في المجتمع، والعلاقة المعلم بالمتعلم، قال: «من الصفات التي تكون هي لحمة الأبوة بين المعلم والمتعلم التي تخلق جوًّا صافيًّا من المودة والاحترام»، إلى أن يقول: «هي رسالة تهذيبة تثقيفية تعتمد على صحة المعلومات وقوة الروح ومتانة الأخلاق»، بل ويزيد «ترتفع رسالة المعلم في إصلاح

(1) البصائر العدد22 السنة3 من السلسلة28/2 ربيع أوّل1367/02/09/1948، ص4-5.

النفوس وتهذيبها حتى تشارف رسالة الوحي في إنشاء الأمّة وتكونها...والمعلم في غايته من وظيفته الكليّة في الإصلاح والتّجديد والتلقين يداني من منزلة الرسول».

وكانت جُلّ هذه الدُّروس تقام في المسجد؛ حيث كانا شعاع نور الأمّة، حيث يقول الإمام المفسر عبد الرّحمان شيبان: «إنّ للمسجد في الإسلام تاريخا عظيمًا، فهو المنارة الهادية إلى الخير في جميع المجالات، يغذي العقيدة ويغرس الفضيلة ويدعو إلى الأخيرة والوحدة التي بها تكون المناعة والعزة والكرامة»[1]، وهذه الطريقة نتج بفضلها الخير الكثير، إلاّ أنّ من أعظم ما يستوقفنا في موضوع هذه المداخلة ما خلفته من ضياع كبير في المقابل لكثيرٍ من الدّروس التي لم تقيّد، فإنّ في ضياع القيد ضياع للصّيد، فلمّا لم تقيد هذه التّفاسير ضاعت عنّا إلاّ ما قيّد منها، وسيأتي بيان ذلك في **أسباب عدم وصول هذه التفاسير الشّفوية للقرآن العظيم** إلينا.

المطلب الثّاني: نشأة الدّرس التفّسيري في بلاد الجزائر:

الباحث عن البدايات الأولى لنشأة وطهور التفّسير تأليفا وتدريسا في بلاد الجزائر، يجد صعوبة في تحديد الفترة الزمّنية الدقيقة التيّ نشأ بها، إلاّ أنَّهُ يمكن القول إن الفتح المبكر لبلاد المغرب العربي عموما حمل معه بوادر التفّسير، وأقصد بهذا أنّ تعليم القرآن لأهالي هذه البلاد التي فتحت لا يمكن أن يخلو من تفسيره لهم. حيث كان الاهتمام بالتفّسير في مستوى أقل وَهَذَا كَنَظيره في البلدان المغربية الأخرى، ورغم هذا فإنَّهُمْ لم يهملواه، حيث ازدهر وتميزّ بداية من القرن السَّادس الهجري، فعرف أسماء لامعة،

(1) عبد الرحمن شيبان «من هدي الإسلام«، دار الخلدونية ، سنة الطبع 2009، ص70.

وتفاسير متميزة في بلاد الجزائر قد تكلم عنها بعض الدّارسين، إلاَّ أنَّ الذي استوقفني هنا هل حديثهم عن **نشأة التَّفسير في الجزائر يشمل التَّفسير تدريسًا كذلك؟**

فإذا سلّمنا أنّ أوَّل تفسير في بلاد الجزائر–تأليفا- هو لـ**عبد الرَّحمان بن رستم (ت171ه)**: مؤسس الدولة الرستمية.[1]

ثمَّ تفسير **هود بن محكم الهواري الأوراسي(250ه)**: وهو من علماء في القرن الثالث الهجري، وهذا التفسير طبع بتحقيق الأستاذ السّعيد شريفي.

ثمّ يذكرون تفسير **أحمد بن نصر الداودي التّلمساني(ت402ه)**: الذي قيل إنّ لهُ تفسيرا للقرآن الكريم كاملا تأليفا.[2]

ثمّ تفسير **مروان بن علي الأسدي أبو عبد الملك البوني(ت439ه)**: وهو كذلك تأليفا.[3]

- **إلى أن يُذْكَر تفسير أحمد الباغائي(354هـ ت401هـ) (956م، 1011م)**: **هو**: أحمد الباغائي، المكنى بأبي العباس، ولد354ه، **توفي401 هـ.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: قام بتفسير القرآن **تدريسا** في جامع قرطبة، وناهيك بمكانة هذا المسجد، وذكره ياقوت الحموي في المعجم بقوله: «كان لا نظير له في علوم القرآن».

- ثمَّ نجد ذكر في كتب التراجم لـ **محمد بن يوسف بن عمران، أبو عبد الله**، حيث درس التفسير وألف فيه كتابا وصل إلى سورة الفتح.
- ثمّ **أبي زكرياء يحيى بن علي الزَّوَاويّ(ت611 ه): هو**: يحيى بن علي الزَّوَاويّ[1].

---

(1) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 33/1، 36.

(2) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 61/1.

(3) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 64/1.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي فسر القرآن تدريسا بالجامع ولم يكمله.[2]

- **ناصر الدين، منصور بن أحمد المشدالي[3] الزواوي(ت731 ه): هو** ناصر الدين، منصور بن أحمد بن عبد الحق بن سدرحان المشدالي الزواوي، ولد631هـ وتوفي سنة731هـ.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس تفسير كتاب الله وحديث الرسول ﷺ.[4]

- **أبو الروح المشهور بابن يحيى السكلاني الجميري الزواوي(ت743ه): هو** عيسى المشهور بابن يحيى السكلاني الجميري الزواوي، بزواوة سنة 644 هـ، والمتوفى بالقاهرة عام 743هـ.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن تدريسا بمصر والشام.

- **ثمّ إبراهيم الزّواوي(ت857 هـ-1453م):** إبراهيم بن فائد بن موسى بن علال بن سعيد النبروني الزواري القسنطيني الدار المالكي ولد سنة796هـ-1394م، وتوفي في857 هـ-1453م.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي درس التفسير في بجاية التي استوطنها.

- **ثمّ أبي الفضل محمد المشدالي(ت864هـ): هو** محمد المشدالي ولد ببجاية سنة822هـ.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس التفسير في القاهرة بعد أن استقر بها، قال عنه الإمام السخاوي في الضوء اللامع: «حضرت درسه في الأزهر فظهر لي أنني ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل

---

(1) نسبة إلى زواوة بفتح الزاي.

(2) ينظر: ترجمته عند التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 52، 53.

(3) نسبة إلى زواوة بفتح الزاي.

(4)-وقيل: المشذالي-.

نفسه» ثم قال أيضا: «هو آية أبرزه الله في هذا العصر للعباد» وقال عنه الإمام ابن شاهين: «هذا الرجل لا ينبغي أن يحضر دروسه إلا حذاق العلماء».

- **ثمّ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أبو عبد الله(ت909ه): هو:** محمد بن عبد الكريم **المغيلي** التلمساني، نسبة إلى تلمسان، كان يكنى بأبي عبد الله، توفي سنة 909 ه.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: عرف محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بكثرة رحلاته التي كان يعقد فيها حلقات يدرّس فيها التفسير مشافهة.[1]

- **ثمّ علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري التلمساني(ت972هـ):** كانت جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: في مسجد أجادير قال ابن مريم: «ويدرسه طوال نهاره ولا يفتر عن الدرس...»[2]
- **ثمّ أبي مهدي عيسى الثعالبي: هو:** عيسى الثعالبي، المكنى بأبي مهدي.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنّهُ ممن فسر القرآن تدريسا عند قوله: فالوزان والأنصاري وعيسى الثعالبي كانوا أيضا من مفسري القرآن الكريم في دروسهم.[3]

- **ثمّ أحمد المقري في الجامع الأعظم بالعاصمة ولد986ه-1578م. ت1041ه.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس التفسير في الجامع الأعظم بالعاصمة.

- **ثمّ القاضي أبي الحسن:** أبو الحسن علي الشريف بن أحمد، ولد1100ه وت1070ه.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي برع فيه في الجامع الكبير حتى اشتهر به.[4]

---

(1) تعريف الخلف170/1، معجم أعلام الجزائر، ص157، معجم المؤلفين3/ 424.

(2) ابن مريم التلمساني «البستان في كر العلماء والأولياء بتلمسان» ، ص 281.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي 15/2.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي 15/2.

●**ثمّ عبد الكريم الفكون، أبو محمد المتوفى سنة1073ه: وجُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا:** كان يعقد مجالس في النحو واشتهر بها ولكنه يعرج على التفسيِّر كمبحث استدلالي فقط، لذا وجدت أن الدكتور أبو القاسم سعد الله قد أشار إلى أن معظم الفنون التي كان يدرسها الفكون لطلابه هي النحو والتفسيِّر والفقه أثناء شرحه على ابن الحاجب، وأنه مشارك في العلوم مختص في النحو، وأن سبب اختصاصه في هذا العلم هو قلة المتشاغلين به في تلك الفترة، وصعوبته كعلم وقلة الأساتذة المدرسين له.[1]

●**ثمّ أبي عبد الله بن خليفة الجزائري(ت1094ه): هو:** ولد بمدينة الجزائر إلاّ أنّ تاريخ ولادته لا يعلم.[2]

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن بالجامع الأعظم بالجزائر، ولم ينقطع عنه حتّى أَتَمَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ رحمه الله سنة 1094ه، قال تلميذه ابن زاكور الفاسي: «فلما أورده أمله منهله، حضره أجله وما أمهله فاقتطفته المنية إثر بلوغ تلك الأمنية»، وأمنيته هنا هي ختمه تفسير القرآن الكريم.

●**ثمّ يحيى بن محمد الشاوي (ت1096ه): هو:** يحي بن محمد بن محمد الشاوي المكنى بأبي زكرياء، المليانى، نسبة إلى مليانة، ولد بها سنة(1030هـ)، وفاته (1096هـ).[3]

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس التفسير في الجامع الأموي بدمشق وهذا استنادا لكلام تلميذه أبو المواهب: «فمرَّ على دمشق وألقى فيها العلوم من الحديث والتفسير والتصوف وعلوم العربية من

(1) ينظر: منشورات الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ص :11. وشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، ص118.

(2) طبعة دار المعرفة، الجزائر، دط، ت2011، ص71.

(3) تعريف الخلف190/1، شجرة النور، ص316، معجم أعلام الجزائر، ص202.

الدروس العامة والخاصة»[1]، كما ذكر تلميذه المحبي أنّه درس عليه بالآستانة ببلاد الروم سورة الفاتحة من تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي، وأجازه فبها.[2]

- **ثمّ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، أبو زيد (1160ه): هو:** عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، نسبة إلى إقليم العلم والعلماء توات، كان يكنى بأبي زيد.

جهوده: اشتهر بعلوم كثيرة فالف ودرس وانتفع به خلق كثير في إقليم توات خاصة، وذكر محمّد باي بلعالم[3] أنّه داوم على تفسير القرآن تدريسا.

- **ثمّ عبد القادر الراشدي الفرجيوي القسنطيني(ت1194ه): هو:** عبد القادر بن محمد بن أحند بن المبارك الحسني الراشدي الفرجيوي القسنطيني، والراشدي نسبة إلى الرواشد إحدى مداشر فرجيوة التي هي ضمن ولاية ميلة غرب قسنطينة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن في دروسه بجامع الكتّاني، قال أبو القاسم سعد الله: «لم يعلم حتى الآن أن تفسيره جمع في كتاب ربما لأنه لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة.»[4]

- **ثمّ محمد بن محمد السّنباوي المازوني الأزهري الأمير المازوني(ت1232ه): هو** محمد بن محمد السّنباوي المازوني، نسبو إلى مازونة أحد مدن الشرق الجزائري وبالضبط مدينة عنابة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: اشتغل بعلوم كثيرة منها تفسير القرآن تأليفا، وتدريسا، وكانت جلّ دروسه التفسيرية الشفوية بالأزهر فلقب بالأزهري.

---

(1) «مشيخة أبي المواهب الحنبلي» أبو المواهب الحنبلي، ص91.

(2) «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، محمد أمين المحبي، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، 5 / 74.

(3) ينظر: «الغصن الداني»، لمحمد باي بلعالم، ص2 .

(4) تاريخ الجزائر الثقافي 220/2. وينظر ترجمته في معجم المؤلفين 112/3.

•ثمّ **ابن لؤلؤ التلمساني(أواخر القرن 12هـ): هو**: ابن لؤلؤ التلمساني.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: والذي ختمه في الجامع الأعظم بتلمسان.

•ثمّ **الأمير عبد القادر الجزائري1300ه، و1883م: هو**: عبد القادر بن محبب الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار... إلى أن يصل نسبه إلى الحسن ين علي بن أبي طالب. ولد في سنة 1222هـ، الموافق لعام1807م، وتوفي في 9 رجب سنة 1300هـ/ 1883م.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن دروسا شفوية في بلدته القيظنة، بجامع الأسرة، حيث كان يفسر أصعب الآيات والشواهد وأعمقها.[1]

•ثمّ **محمد بن يوسف إطفيِّش(ت1332هـ): هو** محمّد بن يوسف إطفيش، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية في تونس العدوي الجزائري. ولد سنة(1236هـ)[2]

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي درس وألف في التفسير وسمى كتابه (تيسير التفسير) والذي طبع بالمكتبة العربية بالقرارة. والذي بدأه سنة **1332هـ** وختمه سنة **1357هـ**. وأقيم له حفل كبير حضره العلماء من جميع أنحاء الوطن وقال فيه شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة:

ختمت كتاب الله ختمة دارس *** يصير له حل العويص يسير

فكم لك في القرآن فهم موفق *** وكم لك في القرآن قول محدد

•ثمّ **الطاهر العبيدي(ت1387هـ/ 1968م)** [3]: من تقرت. **هو**: الطاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن عمارة بن بلقاسم بن سليمان بن عبد الملك بن الهادي بن أحمد خذير بن عبد العزيز بن

(1) الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، لبركات محمد مراد، ص 10.

(2) ينظر:الأعلام 7/ 156، معجم أعلام الجزائر، ص190، معجم المؤلفين786/3.

(3) ينظر: أشهر علماء سوف في القرن العشرين، ص26.

سليمان بن سالم بن إبراهيم عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي-رضي الله عنه-، ولد في الوادي سنة1304هـ / 1886م، وتوفي يوم 28 شوال 1387هـ/ 28جانفي 1968 بتقرت.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي فسر القرآن الكريم ابتدأ من الآية التي توقف عندها شيخه العربي موساوي [الآية 227 البقرة]، حيث كان يفسر آية واحدة في اليوم، ملما بجميع جوانبها العقدية والبلاغية والفقهية...، وكانت دروسه التفسيرية بعد صلاة المغرب إلى العشاء.

- **ثمّ علي بن محمد الميلي(ت1833م/ 1248هـ): هو:** علي بن محمد الميلي؛ نسبة إلى ميلة بالقرب من قسنطينة، واستوطن مصر وتوفي بها سنة 1833م.[1]

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: اشتغل بتفسير القرآن في دروسه، وصنف فيه.

- **ثمّ إبراهيم بيوض(ت 1400هـ): هو:** إبراهيم بن عمر بن بابة بن إبراهيم بن حمو الملقب بَيُّوض. ولد سنة(1316ه)، وتوفي سنة1400ه وقيل سنة 1401هـ.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: بدأ تفسيره سنة1950م إلى غاية ختمه بمدينة القرارة بغرداية في حفل بهيج أقيم بمناسبة هذا الختم سنة1980م/ **1400ه**.[2]

- **ثمّ مفتي قسنطينة العلامة مرزوق بن الشيخ الحسين: هو:** مرزوق بن الشيخ الحسين.

---

(1) ينظر: عادل نويهض: 387/1

(2) ينظر: معجم المفسرين (1/ 17) «في رحاب القرآن» مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، اختصره ورتبه وأشرف عليه الشيخ الناصر المرموري، الطبعة الأولى (1417 ه)، سلطنة عمان/وزارة التراث القومي والثقافة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: حيث فسر بعض السور في الجامع الكبير.

- **ثمّ الأخضر الدهمة(ولد1925م):** ولد بـمتليلي الشعانبة سنة 1925م.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: لم تخل أيامه من الإرشاد والتوجيه، فكان الصوت الصداح بقيم الإسلام، واتخذ لذلك مسلك الإمام الأستاذ محمد عبده، فكانت دروسه الشفهية لا تنقطع بعد صلاة الصبح وبين العشائين، وخصص دروس الجمعة للتفسير الهدائي، وكان مسلكه تربويا. وقد أمضى في تفسير البقرة وحدها ثماني سنين.[1]

- **ثمّ عبد الرّحمن شيبان:** الذي فسر القرآن تدريسا. **هو:** عبد الرحمن بن محمد البشير شيبان،ولد في الثالث والعشرين من شهر فيفري 1918، ببلدة الشرفة، دائرة مشدّالة ولاية البويرة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: داوم على إلقاء الدروس في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، في المساجد، والمراكز الثقافية في العاصمة وغيرها من ولايات الجزائر.

- **ثمّ أبي بكر جابر الجزائري: هو:** أبو بكر جابر الجزائري الذي كان مقيما بالمدينة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: والذي فسره تدريسا في المسجد النبوي ونشره تأليفا في كتابه (أيسر التفاسير إلى كلام العلي الكبير).

المطلب الثّالث: أسباب تأخر ظهور التفسير تدريسا ببلاد الجزائر:

يمكن جمل هذه الأسباب باختصار في خمسة نقاط الآتية:

(1) مقال: للدكتور محمّد عبد الحليم بيشي»الدّرس التّفسيري في الجنوب الجزائري الشّيخ الأخضر الدهمة نموذجا»: المحرر الأربعاء 8 صفر 1440هـ 17-10-2018م.

أوَلاً: أنَّ تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد الجزائر وما صحب ذلك من فتن كثيرة جعل أهالي هذا البلد المبارك ينشغلون عن العلم عموما وعن التفسير بوجه أخص.

ثانيا: من الطبيعي أنَّ أهالي الجزائر بعد الفتح لم يكون همهم سوى التَّعَلُّم، الذي بعده يأتي التعليم، وهذا لا يمكن نكرانه، لذا أنا أنكر بشدّة الذين ينقصون من قدر علمائنا بحجة تأخر طهور هذا العلم بينهم، فعلم التفسير وعلوم القرآن من العلوم التي تأتي بالتلقين، يأخدها التلميذ عن شيخه وهكذا، وهي تحتاج لوقت لينبغ فيها طالبها، فهذه دقيقة قلّ من يذكرها.

ثالثا: لو اعتنت كتب التراجم بعلماء القرون الأولى لبرز لنا فرسان هذا العلم.

رابعا: ما ذكره بعض الباحثين من طغيان الدراسات الفقهية في جل فتراته التاريخية لذا كانت الجهود في التفسير تأليفا وتدريسا قليلة مقارنة بتلك العلوم.

خامسا: التّهيب من التفّسير وهي ظاهرة عامة شملت المشرق والمغرب ويظل التّهيب من التفّسير سمة بارزة، تطغى على جل المهتمين بالقرآن وعلومه، ولعل في تحكم هذا التخّوف في نفوس النّاس وسيطرته على الساحة العلميةّ ما يفسر تأخر ظهور التفسير كعلم مستقل.

المبحث الثاني: نماذج من علماء بلاد الجزائر الذين انتهجوا منهج الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم:

النموذج الأوّل: الإمام ابن باديس

هو عبد الحميد ابن محمد مصطفى بن مكي بن باديس ولد عام1308ه الموافق لـشهر ديسمبر1889م، تخرجك من المعهد الزينوني، فبعد تخرجه اجتهد في نشر العلم، واعتبر نفسه مسؤولا عن إحياء قلوب النّاس، وأبرز نشاطاته إلقائه دروس التفسير مشافهة بالمسجد العتيق بمدينة قسنطينة المسمى بـ: الجامع الأخضر حتى ختمه في مدة ربع قرن.

التعريف بابن باديس

تذكر المصادر أن ابن باديس لم يكتبْ تفسيرًا محرَّرًا لكتاب الله، وهذا الذي بين أيدينا عبارة عن مقتطفات من تفسيره الشَّفويّ الذي ألقاه على طلبته ومن حضر مجالسه، ثُمَّ أُلْهِمَ كتابة مجالس معدودة تعدّ على الأصابع من تلك الدروس في فواتح أعداد مجلة الشهاب واسما إياها مجالس التذكير، والغرض الرئيسي من تدرسه التفسير الشفوي للقرآن الكريم هو غرض توجيهي إرشادي، يتمثل بجلاء في غرس القيّم التي جاء القرآن الكريم لتحقيقه.

تسميته بمجالس التذكير:

الناظر في تسمية الكتاب يتبادر إلى ذهنه أن الكتاب عبارة عن مجالس تذكرية، لكن من سمى التفسير بهذا الاسم؟ الواضح مما كان يكتبه ابن باديس بقلمه في تفسير بعض آيات القرآن في فواتح مجلة الشهاب وتسميته لها«**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**».

مدّة مكثه في الدروس التفسيرية الشفوية للقرآن الكريم:

مكث في تفسيره تدريسًا شفويا نحوًا من خمس وعشرين سنة حتَّى ختمه عام 1337هـ.

سبب عدم تبيضه لتلك الدروس:

أجاب البشير الإبراهيميّ عن هذا حيث قال:«وكان يرى حين تصدَّى لتفسير القرآن أنَّ في تدوين التفسير بالكتابة مشغلةٌ عن العمل المقدَّم وإضاعة لعمر الضلال، لذلك آثر البدءَ بتفسيره درسًا تسمعُهُ الجماهير فتتعجَّل من الاهتداء به ما يتعجَّلُهُ المريض المنهَك من الدواء، وما يتعجَّلُه المسافر العجلان من الزاد، وكان يستطيع أن يجمع بين الحسنيين لولا أنَّه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيلٍ

وتربية أمَّة... فاقتصر على تفسير القرآن درسًا ينهل منه الصادي، ويتزود منه الرائح والغادي وعكف عليه إلى أن ختمَهُ في خمسٍ وعشرين سنة»[1]

بعض خصائص تفسير ابن باديس:

-قال البشير الإبراهيمي في بيان بعض خصائص تفسير ابن باديس وشخصيته التفسيرية: كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس ذوقٌ خاصٌ في فهم القرآن، كأنَّه حاسَّة زائدة خُصَّ بها، بعد الذكاء المشرِق والقريحة الوقَّادة والبصيرة النافذة؛ بيانٌ ناصعٌ، واطلاعٌ واسع، وذرعٌ فسيحٌ في العلوم النفسية والكونية...[2]

-ومما امتاز به تفسيره أنه الوحيد الذي فسر القرآن كاملا بعد الشريف التلمساني، قال البشير الإبراهيمي: ولم يختم التفسير درسًا ودراية بهذا الوطن غيره منذ ختمه أبو عبد الله الشريف التلمساني في المائة الثامنة.»[3]

-أنه تفسير أثري إصلاحي، انتهج فيه ابن باديس طريقة تفسير القرآن بالقرآن، والسنة الصحيحة، وأقوال الصحابة والتابعين.

-كان يستدل بعلماء الفلك والطبيعة في بيان بعض الطواهر حيث أشار إلى مدى اتفاق ما في القرآن مع مكتشفات العلم من خلال وصفه وتفسيره لجرم القمر ونشأته، مسترشداً بأراء علماء الطبيعة والفلك، ومختتماً تفسيره لهذه الآية بقوله: لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية،

(1) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 252/2.
(2) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 252/2.
(3) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 163/5، 164.

ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة نبيهﷺ وبرهاناً لديه على البشر مهما ترقوا في العلم وتقدموا في العرفان.

- التوسع في المعاني اللغوية والنكت البلاغية لآي التنزيل.

-الحرص على إنزال هذه المعاني والهدايات القرآنية على الواقع لإصلاحه وعلاج المشكلات التي يعاني منها الفرد المسلم في مجتمعه، ومن حسن صنيعه أنه كان يبوِّب لكلامه ولا يستطرد في الكلام من غير بيان لاتجاهه، فيقول مثلا: بيان القرآن للقرآن أو تفسير نبوي أو بيان وتوجيه أو التراكيب أو الأحكام، ثم يذكر تحت الباب ما فتح الله عليه باختصار أحيانا وبإسهاب أحيانا أخرى.

- العناية بعلم المناسبات بين الآيات وتوجيه ذلك.

- واستنباط الأحكام العقدية والفقهية والتربوية.

- التأثر بطريقة محمد رشيد رضا في تفسيره، وإن لم يعتمده لأنه لم يكمل بعد في وقته.[1]

منهجه في الدروس التفسيرية:

ذكر عند افتتاحه دروس التفسير فقال:

-سنبدأ بتفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية.

-وربط الآيات بوجوه المناسبات معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول مما جلاّه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه الخلف المتأخرون.

-فاعتمدنا على أشياء من كتب أئمة التفسير كابن جرير الطبري في تفسيره وسلفيته واهتمامه ببيان معاني الآيات القرآنية وترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب، ثم تفسير الكشاف البلاغي

(1) ينظر: محاضرات ومقالات العلامة أحمد حماني، للأستاذ عبد الرحمن دويب 156/3.

وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات، وتفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحِجاج.»

شهادة البشير الإبراهيمي على مكانة تفسير ابن باديس للقرآن:

وصفه الإبراهيمي بأوصاف جميلة تحمل تلك المعرفة بشخصية الإمام العلمية الاستدلالية التي انتهجها في تفسير القرآن، قال البشير الإبراهيمي بقوله: «إن ابن باديس يمتاز بالذوق الخاص في فهم القران، مع بيان ناصع واطلاع واسع وباع في العلوم النفسية والكونية وعلوم الاجتماع والعمران وشجاعة في الرأي والقول ومعرفة السليم والمريض من الآراء والأقوال».[1]

نماذج من تفسيره:

أصول الهداية التي جاء بها القرآن:

قال عند تفسيره سورة الإسراء: «قد أوتي رسول الله ﷺجوامع الكلم واختُصر له الكلام اختصارًا؛ فالآية من كتاب الله، والأثر من حديث رسول الله، تجد فيهما من أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة في لفظ بيِّن وكلام بيِّن ما فيه الكفاية وفوق الكفاية لمن أوتي العلم ومُنح التوفيق. فهذه ثماني عشرة آية من سورة الإسراء قد أتتْ في إيجاز ووضوح على أصول الهداية الإسلامية كلِّها، وأحاطت بأسباب السعادة في الدارين من جميع وجوهها .وهي فوق بلاغتها التي عرف العرب إعجازها بسليقتهم وأدركه علماء البيان بعلمهم ومرانهم - قد جاءت معجزة للخلق من أي جنس كانوا، أو بأيِّ لغة نطقوا، بما جمعت من أصول الهداية التي تدركها الفِطَر وتسلمها العقول .وإنَّك

(1) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 252/2.

لست واجدًا مثلها في مقدارها وأضعاف مقدارها من كلام الخلق بجمع ما جمعت من هدى وبيان، وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن العامة التي تقوم بها حجته على الناس أجمعين».[1]

النموذج الثّاني: الشيخ البشير الإبراهيمي

اسمه ونسبه: محمد البشير الإبراهيمي بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية تعرف(بأولاد إبراهيم)، ولد يوم الخميس الرابع عشر من شهر شوال عام1306 هجرية الموافق لثالث عشر جوان1889م وكانت **نشأته:** في بيئة علمية[2].

وتوفي: يوم 20 ماي 1965م/ / 19 محرم 1385هـ بالجزائر العاصمة.[3]

التعريف بالدرس الشفوي للقرآن العظيم عند البشير الإبراهيمي

كان الإبراهيمي يلقي عشرة دروس في اليوم الواحد، وهو جهد عظيم؛ يبتدئها بدرس الحديث بعد صلاة الصبح، ويختمها بدرس التفسير بين المغرب والعشاء.[4]

والذي يهمنا هنا دروسه الشفوية لتفسير القرآن الكريم؛ وهي كثيرة ولكن رغم عتابه على جلساء ابن باديس عدم تدوينهم لتفسيره فإنَّ العتاب كذلك على جلساء الإبراهيمي، وأضرب من جملة بدائع دروسه التفسيرية ذلك الدرس الباهر الذي ألقاه ارتجالاً على مسامع النَّاس بدار الحديث بتلمسان، بحضور الشيخ ابن باديس، قال: **بسم الله الرحمن الرحيم**، قال تعالى: ﴿**هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ**

(1) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس 182/1.
(2) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 252/2.
(3) أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، أحمد عيساوي، ص 594.
(4) ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، د/خالد النجار، ص7، المنشور على موقع الآلوكة.

﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52]، قال: السورة التي ختمت بهذه الآية الجامعة الفذة هي سورة إبراهيم، وما أكثر السور التي ذكر فيها إبراهيم، وقص فيها قصص إبراهيم،... ثُمّ عدد بعض السور التي ذكر فيها وتكلم عن بعض روائع أسرار القرآن، إلى أن يقول في صلة الإسلام بدين إبراهيم: «وهذه السورة التي ختمت بهذه الآية بدئت بقوله تعالى: كتاب أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات إلى النور»، وإن استهلال سورة نسبت إلى إبراهيم ودين الحق الذي جاء هذا الكتاب لبيانه.»... ثم يشرع رحمه الله ببيان التوحيد الذي هو أصل العبادة، وفي تقرير سننه في الخلق والتكوين والجزاء والسرائر...»

ثمَّ يوظف جوانب من اللغة والبلاغة في تفسير بعض ألفاظ الآية، وكلّ ذلك على طريقة ما يسمى اليوم بالتفسير الموضوعي، ليعود إلى الآية المراد بالتفسير فيقول: «هذه الآية من أبلغ الآيات وأجمعها لوصف القرآن وبيان حكم التي انطوى عليها حقائق التي أنزل لبيانها، فهي تعريف جامع لأشتات الفوائد المفصلة في آياته وسوره، وأنا أختار في مرجع هذه الإشارة أنها راجعة إلى القرآن كله ... باعتباره كلام الله الذي قدر إنزاله لهداية خلقه...، وثاني الاحتمالات أن الإشارة راجعة إلى هذه السورة سورة إبراهيم، ورغم كونها ليست من سور الطوال فإنها مشتملة على الأصول الأربعة المذكورة في الآية: بلاغ، إنذار، الإعلام بتوحيد الله والتذكير...، وثالثها أنها راجعة على ما بعد قصة إبراهيم من هذه السورة...» قلت: كلّ هذا الكلام هو مقدمة في التنبيه لاستقبال الفوائد الدرر، حيث سمى درسه هذا بـ«**سعادة المسلمين في العمل بالقرآن**»، ليقول: «وهذه الآية من حجج الله البالغة على المسلمين الذين نبذوا القرآن ظهريا، واتخذوه مهجورا، وعطلوه عمَّا أنزل إليه تعطيلا فهي –أي الآية– وأمثالها من الآيات الواردة بمعناها، تبين الفوائد العلمية التي نزل القرآن لتحقيقها والتي هي الحكمة من

إنزاله،... إن هذه الآية وأمثالها هي أسلحتنا التي ندفع بها في نحور أعدائنا، وحوافزنا إلى ما نحاول من فهم القرآن وتفهيمه وإلى ما ندعو إليه من إرجاع المسلمين إلى حظيرة القرآن»[1].

المبحث الثالث: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن عند علماء بلاد الجزائر

المطلب الأوّل: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم عند علماء الجزائر:

-أن علم التفسير في الجزائر مرّ بمرحلتين أساسيتين هما: التفسير عن طرق التدريس والتفسير عن طريق التأليف، وفي نظري أنَّ التفسير الشفوي هو منبع التفسير التأليفي عند علمائنا ولهم السبق فيه على التفسير التأليفي.

-ظاهرة التّهيب من التفّسير وهي ظاهرة عامة شملت المشرق والمغرب ويظل التّهيب من التفّسير سمة بارزة، تطغى على جل المهتمين بالقرآن وعلومه، ولعل في تحكم هذا التخّوف في نفوس النّاس وسيطرته على الساحة العلميةّ ما يفسر تأخر ظهور التفسير كعلم مستقل.

-اعتنائهم بالآيات الجوامع: وذلك لتحقيق المراد من تلك الدروس من إصلاح إعوجاج في المجتمع، أو دعوة إلى الوحدة وإخماد الفتن وغيرها من مقاصدهم ...

-من خصائص هذه التفاسير الشفوية أن تكون تفاسير إصلاحية مقاصدية، اقتضتها طبيعة الحياة العامة في المجتمع الجزائري زمن الاستدمار الفرنسي الذي دعى علماء الجزائر إلى تكتيف الجهود إلى اصلاح المجتمع عن طريق مخاطبتهم بشكل مباشر لمعالجة قضايا المجتمع بحلول قرآنية.

(1) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 398/1، 404 بتصرف.

-من خصائص هذه الجهود أنها مرت بمراحل متفاوتة من حيث القوة والضعف، والكثرة والقلة.

-من خصائصه أنه مشروع حياة، فهذا الشيخ إبراهيم بيوض(ت1400هـ):الذي بدأ تفسيره سنة1950م إلى أن ختمه بمدينة القرارة في حفل بهيج أقيم بمناسبة هذا الختم سنة1980م/ 1400ه وابن باديس مكث في تفسيره تدريسًا نحوًا من خمس وعشرين سنة حتَّى ختمه عام1337هـ.، ومحمد بن يوسف إطفيِّش(ت1332هـ)، وغيرهم.

-من الخصائص التي استوقفتني دروس الشيخ الطاهر العبيدي(ت1387ه) :

أ-الذي فسر القرآن ابتدأ من الآية التي توقف عندها شيخه العربي موساوي[الآية227 البقرة].

ب-كان يفسر آية واحدة في اليوم، ملمًا بجميع جوانبها العقدية والبلاغية...

-من خصائصه أنَّ كثيرا من علمائنا فسروا القرآن خارج هذا البلد الكريم ولعل في ذلك خفايا لا نعلمها، كمحمد بن محمد السّنباوي المازوني الأزهري الأمير المازوني(ت1232ه) فسره في الأزهر، ويحيى الشاوي(ت1096ه) درس التفسير في الجامع الأموي بدمشق.

-ومن خصائصه المداومة على الدروس، كعلي السُلُكْسِيني الجاديري؛ يدرسه طوال نهاره، ولا يفتر عن الدرس إلا في وقت الصلاة والأذان. وكعبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، حيث ذكر محمّد باي بلعالم أنّه داوم على تفسير القرآن تدريسا، والشيخ أبا عبد الله بن خليفة الجزائري(ت1094ه)، فسر القرآن بالجامع الأعظم بالجزائر، ولم ينقطع عنه حتّى أَتَمَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ.

-ومن الخصائص تصدرهم لتفسير أصعب الآيات والشواهد؛ كالأمير عبد القادر الجزائري.

- وكان من مسلكهم تربويا عاليا لا ينزعج فيه المثقف بضياع وقته، ولا الأمي بعسر فهمه.

-اعتماد بعض المفسرين الجزائريين على التفسير المجمل وذلك من خلال توصيل المعنى العام للسورة أو الآية وذلك مثل تفسير الأمير عبد القادر وتفسير البشير الإبراهيمي.

-اعتمادهم على إلقاء الدروس الشفوية، في كثير من الفترات لظروف اقتضتها طبيعة البلد.

-الاعتماد على الحفظ والتلّقين، ولذلك شاع بينهم العلم يؤخذ من أفواه الرجال.

- ومن خضائص طريقة التفسير الشفهي البدء بتلاوة الآيات المختارة، واقتناص المعاني، والاستعانة بأقوال المفسرين ومقارنتها، مع عدم الإيغال في القضايا اللغوية والبلاغية، ولكن التركيز الأكبر على واجب الوقت في القضايا الاجتماعية والأخلاقية، وهذا مشاهد في تفسير الإبراهيمي.

المطلب الثّاني: أسباب عدم وصول هذه التفاسير الشفوية للقرآن العظيم:

بَعْدَ اَلْنَّظَرِ فِيْ تَرَاجُمِ هَؤُلاَءِ اَلْأَعْلاَمِ-رحمهم اللهُ تعالَى- ظَهَرَتْ لِيْ بَعْضَ أَسباب عدم وُصُولِ هَذِهِ اَلْتَّفَاسِيرِ اَلْشَّفَوِيَّةِ لِلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ إِلَيْنَا، وَهِيَ:

أوّلاً: عدم تقييد الطّلاب لدروس شيوخهم: من أهم الأسباب التي تذكر في هذا الباب، خاصة إذا كانت هذه العلوم هي حقّ للأجيال الآتية بعدَهم، فإنّ في ضياع القيد ضياع للصّيد، فلمّا لم تقيد هذه التفاسير ضاعت عنّا إلاّ ما قيّد منها، وصدق على حالنا قول الحكيم العربي:

العلم صيد والكتابة قيـــد وإذا ضاع القيد ذهب الصيد

وكأنّ الإمام البشير الإبراهيمي لخص لنا هذا السبب فقال في كلمة له بين يدي تفسير صاحبه ابن باديس للمعوذتين: «ولسنا نعيب طريقة التزام الكتب وشرح معانيها بالكلام، فذلك في حقيقته نوع قاصر من الإملاء، وإنما ننعى على السامعين إهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفوائد التي يلقيها الأستاذ وقد تكون قيّمة، كما تضيع في عصرنا هذه الخطب والمحاضرات المرتجلة التي لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها».[1]

(1) آثار البشير الإبراهيمي 341/1.

وكذلك عاتب على جلساء الشّيخ محمّد عبده عدم تدوينهم أمالي شيخهم في التّفسير، وأنّه قد ضاع منه الكثير إلا ما تمكن رشيد رضا من جمعه.[1]

وفي المقابل نجد أنَّ الإمام أحمد بن محمد بن أحمد المسيلى أو البَسِيلي الجزائري(توفي بعد 780هـ/ ...-1383م)، له» تقييد في التّفسير»، وهو تقييده الشهير قيده عن ابن عرفة، حيثُ لو لم يقييده لما وصل لنا-بعد توفيق الله تعالى له على ذلك-.

اسمه ونسبه ومولده ووفاته: أحمد بن محمد المسيلي الجزائري(ت780هـ/ ...-1383م). وكانت **جُهُودُهُ:** هي حفاظه على إرث شيخه ابن عرفة الذي كان له دور في الدروس التفسيرية.

ثانيا: أنهم لم يقصدوا التأليف فيها: فلو أرادوا ذلك لانتهجوا نهج الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الذي ألقى تفسيره مشافهة ثم قيّده، وقبله ابن باديس الذي قيد لنا بعض تفسيره...

المطلب الثّالث: نتائج هذه الدروس الشفوية على الفرد والمجتمع الجزائري.

فالاعتماد على الإملاء والمشافهة خاصيّة اقتضتها طبيعة الإصلاح كون المصلح يجد نفسه أمام مجتمعه مخاطبا إيّاهم بشكل مباشر، يحل مشكلاتهم وقضياهم بحلول قرآنية نتج عنها:

النتائج الحضارية والثقافية:

لا ينكر العقلاء أنَّ هذه الدروس تعدُّ أحد مكونات التراث الحضاري والثقافي العلمي لبلاد الجزائر، لما فيه من ترجمة صريحة لجهود هؤلاء الأعلام من أبناء هذا البلد المعطاء، وقد كونت جهود هؤلاء العلماء إضافة إلى جهود غيرهم من أبناء هذا البلد مادة علمية حضارية وثقافية للأسف غُيبت لأسباب وعوامل.

(1) آثار البشير الإبراهيمي 343/1.

النتائج على الفكر والتعلمية:

من نتائج تواجد هذه الدروس في تراثنا تنوع التوجهات الفكرية وثرائها، ممّا لا يدع شكا في تصورنا لتلك العقول الجزائرية التي رغم اختلاف مشاربها وتنوع بنائها العلمي إلاَ أنها تجتمع في هدف واحد ألاَ وهو خدمة كلام الله وتفسير القرآن الكريم، وإفادة أبناء هذا البلد بفواتح الخير التي احتواها القرآن الذي هو هداية للبشر، وطريق السعدتين، وسبيل النجاة وإرضاء الرحمان تعالى.

النتائج الاجتماعية والإصلاحية:

استخدم جماعة من المفسرين الجزائريين هذه الدروس التفسيرية وسيلة للإصلاح خاصة في العهد الإستعماري، وها هو الإمام البشير الإبراهيمي يلخص هذا المنهج فيقول: «وإن من أحكم الوسائل لجذب الأمّة إلى القرآن، وصف القرآن، وتشويق النّاس إلى الإقبال عليه، وتدبّره وفهمه، فمن التسديد في الرأي والمقاربة في العمل أن ترشد الأمّة الإسلامية إلى معرفة ما ضيّعت من خير وما خسرت من هداية، بتضييعها القرآن وإنما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها، من وصفه والإشادة بشأنه والتنويه بجلاله وخطره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظ قليلة، وتقريب ما ينطوي عليه من المرامي المفيدة ، بالكلمات القريبة، وشرح ما فيه من الحقائق المتفرقة بالجمل الجامعة، فإن ذلك يكون أدعى لرجوع النفوس الجامحة عنه إليه وأعون على فيأتها إلى حماه والاستظلال بظله والاستمساك بحبله، وليت شعري، أي بيان يضطلع بهذا؟ إن وصف القرآن وأساليب التشويق إلى القرآن لاتوجد على أكملها في غير القرآن.» [1]

□

(1) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 323/1.

الخاتمة

وفي ختام الموضوع ومما سبق يتضح لنا أهمية هذا الموضوع، لهذا كان لزاماً أن تتوجه إليه كل الجهود والرعاية والاهتمام، ومن الدروس المستفادة التي نخرج بها من هذا البحث:

-الدعوة إلى الاحتفاء بمنهج هؤلاء الأعلام للاستفادة منها، لأنها بلغت الغاية في الثراء.

-شأن الجزائر ككل بلدان المغرب حيث طغت عليها الدراسات الفقهية في جل فتراته التاريخية لذا كانت الجهود في التفسير تأليفا وتدريسا قليلة مقارنة بالعلوم الأخرى.

-الناظر لتاريخ العلم والعلماء بالجزائر يدرك أنّ العلم انتشر تأليفا وتدريسا زمن الدولة المرينية، حيث اهتم سلاطينها بالعلم وأهله، ابن مرزوق الخطيب التلمساني في كتابه«المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن»، وينظر كذلك **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، لابن خلدون.

-في علمي لم يحدد من هو أوّل من فسر القرآن من علماء الجزائر شفهيا، ويغلب على ظني أنّ أوّل من فسره شفهيا: **أحمد الباغائي(354هـ ت401هـ) (956م، 1011م).**

قائمة المصادر والمراجع

1. آثار ابن باديس؛ جمع: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى: 1388هـ- 1968م.
2. آثار البشير الإبراهيمي.جمع وتقديم نجله د/ أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، 1997.
3. أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، أحمد عيساوي، ط1: 1433ه/ 2012م، دار الكتاب، القاهرة.
4. الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، لبركات محمد مراد.
5. البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لا بن مريم التلمساني، تحقيق :عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1/ 2014
6. البصائر العدد22 السنة3 من السلسلة2/ 28 ربيع أوّل1367/ 09/ 02/ 1948.
7. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ، دار الثقافة بيروت لبنان 1400هـ، 1980م.
8. تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، تح : خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:1/ 2012م
9. الدّرس التّفسيري في الجنوب الجزائري الشّيخ الأخضر الدهمة نموذجا»: الدكتور محمَّد عبد الحليم بيشي المحرر الأربعاء 8 صفر 1440ه 17-10-2018م.
10. شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب، بيروت، ط1: 1986 م.
11. الغصن الداني»، لمحمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، دط، دت.
12. في رحاب القرآن» مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، اختصره ورتبه وأشرف عليه الشيخ الناصر المرموري، الطبعة الأولى (1417 هـ)، سلطنة عمان / وزارة التراث القومي والثقافة.
13. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس.
14. محاضرات ومقالات العلامة أحمد حماني، للأستاذ عبد الرحمن دويب.
15. محمد البشير الإبراهيمي، د/ خالد النجار، ص7، المنشور على موقع الآلوكة.
16. محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون.
17. مشيخة أبي المواهب الحنبلي» أبو المواهب الحنبلي.
18. من هدي الإسلام، عبد الرحمن شيبان، دار الخلدونية ، سنة الطبع 2009، ص70.
19. منشورات الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون.

20. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، محمد أمين المحبي، تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: 1 : 1971م.

21. نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان؛ ابن زاكور الفاسي ، طبعة دار المعرفة، الجزائر، دط، 2011.